

الكتاب : أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد

المؤلف : ناصر بن عبد الكريم العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل في كتابه : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } .

والقائل سبحانه : { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } .

والقائل عز وجل - : { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } .

والقائل سبحانه : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } .

والقائل سبحانه : { فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ } .

الآية .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، القائل : « العلماء هم ورثة الأنبياء »

[أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وغيره ، والقائل -صلى الله عليه وسلم- : « أحب البلاد إلى الله مساجدها »] رواه مسلم .

أما بعد : فأقدم بين يدي القارئ بهذا البحث الموجز حول موضوع " أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد " . هذا ولا يسعني إلا أن أشكر الوزارة على الاهتمام المشكور بالمساجد وأئمتها وخطبائها ، وأخص بالشكر معالي الوزير الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، على جهوده الطيبة المباركة في خدمة الإسلام والمسلمين . وصلى الله وسلم وبارك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

تهيد

:

في العصور المتأخرة اختلت مفاهيم كثير من الناس ، بسبب الثقافات الوافدة ، وقلة الفقه في الدين ، وكثرة التعامل ، والبعد عن مناهج العلماء ، حول أمور كثيرة من أمور الدين ، ومن أهمها :

١- ما يتعلق بالمسجد ورسالته .

٢- ما يتعلق بالعلماء وحقوقهم وأثرهم .

وقد علق في أذهان كثير من المسلمين اليوم أن المسجد إنما هو مكان الصلاة فحسب ، وأي نشاط آخر يقام في المسجد فقد يكون محل تساؤل ، وهذا خطأ ، فإن المسجد له شأنه في الإسلام ، فكما أنه مكان للصلاة فهو كذلك

مكان للتعليم والخطابة والوعظ والمحاضرات والدروس والاجتماعات وتوجيه الناس إلى كل ما يصلح أمورهم في دينهم ودنياهم .

وفي الآونة الأخيرة ، ومع بواكير الصحوة الإسلامية المباركة ، بدأ المسجد يستعيد شيئاً من مكانته ورسالته ، مما يستدعي ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع من قبل العلماء والمؤسسات المعنية وطلاب العلم عامة ، والأئمة والخطباء والمؤذنين على وجه الخصوص .
وثمة أخطاء وشيء من التقصير لا يزال قائماً بهذا الصدد ، ولا أتوقع أن يتم علاجها إلا بتضافر الجهود من عدة أطراف وهي :

١- الجهات المعنية من قبل الدولة ممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .

٢- المشايخ وطلاب العلم عموماً .

٣- الأئمة والخطباء على وجه الخصوص .

٤- المجتمع ممثلاً بالمصلين من أهل الرأي والمشورة .

٥- الإعلام بوسائله المتعددة .

وما يتعلق من هذه الأخطاء بموضوعنا له جانبان :

الأول : أخطاء في ممارسة دور المساجد واستثمارها ، ولا أطيل في هذه المسألة ، لأن مساسها يحثني أقل ، إنما من أهمها :

١- قلة التنسيق بين المساجد في تنفيذ الأنشطة وتوزيعها .

٢- أحياناً يظهر ما لا يليق بالمسجد من الصور والرسوم ، كصور الصليبان مثلاً بقصد التحذير منها ، أو صور

الأحذية التي تشتمل على مخالقات ، أو نشر بعض الأوراق التي ليست على المستوى اللائق علمياً أو نحو ذلك .

٣- إتاحة الفرصة -أحياناً- لبعض العوام والجهلة للتحكم في أمور المساجد ، مما يعوق كثيراً من الفوائد المتوخاة ، ويفوت فرصاً على المصلين ، أو يضايقهم ، لذا ينبغي أن يكون كل مسجد تحت إشراف عالم أو طالب علم يدير شؤون المسجد .

الثاني : أخطاء فيما يتعلق بأثر العلماء في تحقيق رسالة المساجد ، وهو موضوع البحث ، وأهم هذه الأخطاء في نظري :

١- قيام أنشطة علمية ودعوية -أحياناً- في المساجد بعيدة عن توجيه المشايخ وطلاب العلم وإشرافهم المباشر .
وبعض ما يكون تحت إشرافهم قد يتم بطريقة التمير غير المرضي .

٢- قد يتصدر الأنشطة في المساجد بعض الصغار قليلي العلم والفقه والتجربة ، مما يؤدي إلى اجتهادات وممارسات خاطئة شرعاً ، أو غير لائقة ودون المستوى المطلوب ، مما يعكس أثرها على الناس سلباً .

وقد يقول قائل : هذا خطأ المشايخ وتقصيرهم ، حيث لم ينزلوا إلى ساحة الأنشطة ويوجهوها بأنفسهم . . .

ويُرشدوا أعمال الشباب . . . وأقول : هذه دعوى قائمة فعلاً .

وضلها كذلك يرد حيث يقال : لماذا لا ينهب الشباب أنفسهم إلى المشايخ ويتلقون عنهم التوجيه والمشورة ؟ فإن هذا هو الأصل واللائق شرعاً .

وتبقى المسألة في دور . . . لكن يجسمها في نظري الأصول الشرعية والآداب المرعية ، وهي أن المشايخ هم الذين يقصدون ويسعى إليهم ويطلب منهم ، ويستشارون ، ولا نتوقع منهم بمشاغلهم وسمتهم -أو أغلبهم- أن يلاحقوا الشباب في ميادين أنشطتهم ، وليس هذا من الطبيعي بل العكس هو الصحيح فإنه يجب على الشباب المشتغل بالدعوة والعلم أن يلازموا المشايخ ويتلقوا منهم العلم والأدب والمشورة والتوجيه .

٣- أن كثيرا من الأنشطة التي تقام في المساجد وبرامجها ومتابعة تنفيذها لا تعرض على المشايخ ، ولا يشرفون عليها مباشرة ، إلا أحيانا إذا حدثت مشكلات ، فإن الناس حينئذ قد يفرعون للمشايخ كعادتهم . . وإن كان ثمة إشراف لهم فبطريقة التمير ، وفذا كسابقه في طريقة المعالجة .

٤- أن كثيرا من المشايخ -فعلا- ربما لم يدركوا كمال الإدراك أهمية دور المساجد بالقدر الكافي ، وبعضهم قد لا يتصور الأسلوب التفصيلي لكثير من النشاطات التي يمكن أن تحقق من خلال المسجد ، لأن غالب هذه الأمور مستحدثة لا عهد لهم بها .

وهذا يمكن معالجته بالتصاق الشباب وطلاب العلم النشطين بالمشايخ ، وإطلاعهم على تفاصيل البرامج المقترحة .

كما أن الوزارة تتحمل جزءا كبيرا من هذه المسؤولية كذلك ونتطلع منها أن تقوم بما .

والخلاصة : أن من أبرز السلبيات التي ترتبت عن عدم تصدير المشايخ ، أو تخلف بعضهم عن التوجيه المباشر للشباب وطلاب العلم والعاملين في الدعوة والحسبة أن تتلمذوا على من هم دونهم ، وتتلمذ بعضهم على بعض ، أو تتلمذوا على الكتب والأشرطة والوسائل الأخرى بلا أخطمة ولا أزمة ، بل ربما تلقى بعضهم عن أهل الأهواء وعن حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام ، فاتخذوا رؤساء جهالا ، وكثر بينهم التعالم والغرور والقدح في الأئمة والمشايخ ، وقل الفقه في الدين ، وقل الأدب ، وفقد عند البعض سميت أهل العلم رغم كثرة الثقافة والمعلومات . ولن يتم استدراك الأمر إلا بتصدير العلماء ومن خلال المسجد أولاً ثم بالوسائل الأخرى ، والله أعلم .

العلماء ومنزلتهم وخصائصهم

: يحسن بين يدي هذا الموضوع (أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد) أن نحرر المفهوم الشرعي للعلماء ، وأن نبين منزلتهم الشرعية ، وأن نذكر خصائصهم وسماتهم ، وكذلك مفهوم المسجد ورسالته ، حيث اضطربت مفاهيم الناس اليوم ، وانحرفت في أذهان كثير منهم المفاهيم الشرعية .

وقد ظهرت بين الناس اليوم نزعات أهواء بدأت محول بين الأمة وبين علمائها ومشايخها وتزع الثقة بالمشايخ ، وباعتبارهم الشرعي ، وأثرهم الاجتماعي ، بقصد وبغير قصد ، وتشكك الجيل في جدارتهم وقيادتهم وفي ريادتهم وولايتهم في الأمة ، وهذه النزعات بعضها عن منطلقات بدعية ، أو مفاهيم خاطئة ، والبعض الآخر عن جهل بالحقوق الشرعية للعلماء ، وقلة فقه في الدين وقواعد الشرع ومقاصده ، لا سيما من أولئك المثقفين والشباب الذين تربوا بعيدا عن مجالس العلماء ومحاضرتهم ، فإن هذا الجفاء أحدث الوحشة والفصام .

المفهوم الشرعي للعلماء

: العلماء : هم الذين يعرفون شرع الله ويفقهونه ويعملون به ، المتبعون لكتاب الله وسنة -رسوله صلى الله عليه وسلم- والسلف الصالح على هدى وبصيرة .

خصائص العلماء وسماقتهم

- : لقد نوه الله تعالى بالعلماء ، وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- منزلتهم ، فالعلماء :
- ١- قد قرنهم الله تعالى بالملائكة في الشهادة بالوحي ، فقال تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } .
 - ٢- وبين أن العلماء هم أخشى الناس لله ، فقال تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } .
 - ٣- وجعلهم مرجع الأمة ، فقال تعالى : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } .
 - ٤- وجعلهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم ، فقال تعالى : { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } ، قال ابن عباس وجابر بن عبد الله وأبو العالية ومجاهد وعطاء والحسن البصري : هم أولو العلم والفقهاء .
 - ٥- وجعلهم الأئمة الذين يُقتدى بهم ، فقال تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } ، وهم العلماء من بني إسرائيل وغيرهم .
 - ٦- وقد رفعهم الله تعالى بالعلم درجات ، فقال تعالى : { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } .
 - ٧- وذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن « العلماء هم ورثة الأنبياء » ، كما صح في الحديث .
 - ٨- وهم أهل الحكمة والفقهاء في الدين { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } .
 - ٩- وقد أراد الله بهم خيراً ، وميزهم بالخيرية حين فقهوا في الدين ، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .
 - ١٠- وفضل الله العلماء على العباد المنقطعين لعبادة الله تعالى ، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

المسجد ورسالته

: المسجد هو مكان الصلاة للجماعة وللجمعة ، وكل ما اتخذته الناس مصلى فهو مسجد ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : « وجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً » ، وإن كان مسمى المسجد صار أخص من سائر الأرض . والمسجد في الإسلام ، وكما كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس مكان إقامة الصلاة فحسب ، بل كان منطلق أنشطة كثيرة . . . فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعقد فيه الاجتماعات ، ويستقبل فيه الوفود ، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام ، ومنطلق الدعوة والبعوث ، ويرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب . وأول عمل ذي بال بدأه النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة مهاجراً أن شرع في بناء المسجد ، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قدم أن سفر بدأ بالمسجد ، كما ورد في الصحيح .

أما الآن ومع تدرج الزمن وتغير أساليب الحياة فقد تحول كثير من وظائف المسجد إلى مؤسسات أخرى وهيئات ودوائر . . . لكن لا يعني ذلك أن المسجد انتهت رسالته ، أو لم يعد له دوره وتأثيره ، بل بقي الكثير . ولو لم يكن للمسجد إلا إقامة الصلاة وما يقام فيه من الحلقات لكان ذلك أمراً عظيماً ، كيف والصلاة هي ركن الإسلام

وعمود الدين ، وأعظم شعائر الإسلام الطاهرة .

ومع ذلك لا يزال المسجد مهياً للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد ، والتكافل الاجتماعي ، والحسبة .

وفي أيامنا -وبعد النهضة الشاملة في هذه البلاد المباركة- نرى المساجد بدأت -بحمد الله- تستعيد شيئاً من مكانتها ، سواء فيما يتعلق ببنائها والعناية بها ، حيث لا تزال حكومة خادم الحرمين الشريفين وفقها الله ، ممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تولي المساجد عناية طيبة .
وأهل الخير والإحسان لا يزالون بحمد الله يبذلون بنفوس سخية في سبيل عمارة المساجد وخدمتها .

وبدأت المساجد كذلك تأخذ نصيبها من قبل سائر المواطنين الصالحين ، فهي تشهد -بحمد الله- نشاطاً ملحوظاً في تحفيظ القرآن وحلق العلم والذكر والوعظ والإرشاد والمحاضرات والندوات والدروس العلمية والحلقات والدورات والمكتبات وغيرها .

لكن هذه الأنشطة تحتاج إلى مزيد من التنسيق والتخطيط والتنظيم وحسن الإعداد وجودة الأداء .

كما أنها بحاجة إلى الإشراف المباشر عليها من قبل المشايخ وطلاب العلم ، وتركز المسؤولية في ذلك -فيما أرى- على الأئمة والخطباء والمؤذنين بالدرجة الأولى .

وقد قامت نماذج جيدة في نشاط المسجد في كثير من المدن في المملكة يجب أن يفاد منها . . خاصة في المساجد ذات النشاط الناجح والمرافق والخدمات الكاملة فإنها يجب أن يسفيد منها سائر الأئمة والخطباء .

فالخلاصة : المساجد أهم وسيلة ، وأسلم مكان ، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس ، وتعليمهم وتفقيهم ، وحل مشكلاتهم ، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم .
وكان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة ، من خلال المسجد .

من

المعنيون بتحقيق رسالة المسجد

؟ :

إنَّ مما يجب التسليم به سلفاً أن العلماء قبل غيرهم هم المعنيون برسالة المسجد ، ثم طلابهم الأمتل فالأمتل ، وذلك على النحو التالي :

١- العلماء والمشايخ الكبار :

لا شك أن العلماء هم أولى وأول من يقوم بمهام رسالة المسجد ، لكن لا يعني ذلك أن أشخاص العلماء هم المنفذون لكل عمل يتعلق بذلك ، بل الأمر الطبيعي والوضع السليم أن العلماء يقومون بدورهم من جانب ، ويوجهون من دورهم من جانب آخر ، وتحت نظر العلماء وأمرهم وقيادتهم وريادتهم تقوم فئات أخرى من طلاب العلم والعلمين ، الموثوق بهم بتحقيق الرسالة الشرعية للمسجد .

٢- القضاة ، وهم غالباً من العلماء :

ونظراً لأنه -في هذه البلاد بحمد الله- لا تخلو مدينة أو قرية كبيرة من قاض أو أكثر ، فإنه يجب أن يتولى القاضي

مهامه الشرعية من تعليم الناس أصول دينهم ومهمات الأحكام والفتوى ، والدروس الشرعية ، وتوجيه الناس ، والإصلاح بينهم ، والإسهام في معالجة مشكلاتهم الاجتماعية والتنسيق مع الجهات المسؤولة في البلد لدفع كل ما هو من مصالح البلد في الدين والدنيا . وسائر هذه الأنشطة ينبغي أن ينبثق عن المسجد ما أمكن ذلك .

وهذا - أعني الإفادة من القضاة في نشر العلم والفتوى والدعوة - مما ينبغي أن تعنى به الوزارة بالتنسيق مع وزارة العدل ودار الإفتاء .

٣- خريجو الكليات والمعاهد الشرعية :

وهم - بحمد الله في هذه البلاد - كثيرون ومتوافرون في أنحاء كثيرة لا تكاد تخلو منهم قرية أو هجرة ، فضلا عن المدن ، وهم ما بين أئمة وقضاة ومعلمين وكتاب عدل ، وموظفين وخلافهم ، وفيهم ومنهم علماء وطلاب علم كبار ، وسائرهم في العموم يخضعون لتوجيه العلماء والمشايخ . أو كذلك يجب أن يكونوا . لذا أرى أن من مهام علماء هذه البلاد أن يوجهوا هذه الفئات ويفيدوا من طاقاتهم في بعث رسالة المسجد في إرشاد الناس وتوجيههم ، وتعليمهم أمور دينهم ، ومساعدتهم في حل مشكلاتهم ، ونحو ذلك .

٤- سائر طلاب العلم وشباب الدعوة :

وأعني بهم الشباب الذين يتربون على أيدي المشايخ وينهلون من علمهم وينهجون نهجهم ، فهؤلاء ثروة عظيمة تجب العناية بها وتعليمها وتوجيهها وتسخير طاقاتها فيما ينفع الأمة ويخدم المجتمع ، وينمي الخير بين الناس .

نعم من مهام العلماء الإفادة من طاقات الشباب في تحقيق رسالة المسجد ، وليس من الطبيعي ولا من المرضي أن تكون أعمال الشباب وطاقاتهم في الدعوة والتربية والحسبة بمعزل عن المشايخ ، وإذا حدث ذلك - لا قدر الله - أعني القصاص بين المشايخ والشباب فسيؤدي ذلك إلى نشوء الأهواء والتعالم والفتن والافتراق ، وهذه هي الخالقة ، وهي الكارثة . نسأل الله أن يقينا شرها .

وكان السلف لا يسمحون لغير العلماء وطلاب العلم الثقات بالتصدر لنشر العلم أو الوعظ والإرشاد ، وكانوا يسمون أولئك الذين يعظون الناس بالحكايات والأقاصيص التي لا أصل لها ويتكلمون بغير علم ولا فقه : (القصاص) وكانوا يخرجونهم من المساجد ، ولا يأذنون لهم بالكلام فيها ، كما كان يفعل عبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وغيرهما . ولكن هذا لا يعني عدم السماح لطالب العلم الموثوق بدينه وعلمه بالإرشاد والوعظ ، لكن لذلك شروطه وضوابطه التي يعرفها أهل العلم .

أهم الأمور التي يمكن أن يحققها العلماء من خلال المسجد

:

إن أهم الأمور التي يمكن -حاليًا- أن يحققها العلماء ويؤديها للمجتمع والأمة من خلال المسجد ما يلي :

١- الإمامة وما يتبعها ويلحق بها .

٢- الخطابة في الجمعة والأعياد ونحوها .

٣- الفتاوى .

٤- الدروس والحلق .

٥- المحاضرات والندوات .

٦- الكلمات والتوجيهات والمواظ .

٧- سائر أعمال الحسبة الأخرى التي يمكن أن تتحقق من خلال المسجد حسب نظر المشايخ .

الإمامة

:

المقصود بالإمامة هنا : إمامة المصلين في المسجد .

والإمامة شأنها عظيم في الإسلام ، ولست أقصد الإمامة العظمى (إمامة السلطان) لأن هذا ليس مجالها . إنما كان الحديث عن إمامة الصلاة .

فهي أعظم مهام العلماء ، وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد .

والإمامة كما أنها تعني تقدم المصلين في الصلاة فهي كذلك تعني لذلك تعليمهم وإرشادهم وتفقد أحوالهم ، وتوجيههم إلى أن يكونوا على المستوى اللائق في دينهم وديناهم .

لذا فإن من أهم الضمانات في تحقيق رسالة المسجد أن يتولى العلماء والمشايخ إمامة المساجد ثم الأمثل فالأمثل . . . وإذا أهمل العلماء هذا الأمر تصدر للإمامة من يقل فقههم وعلمهم من العوام وأشباه العوام ، أو ذوي النزعات غير المرضية ، مما يؤدي إلى ظهور نزعات الأهواء والاجتهادات الخاطئة ، ونحو ذلك .

- ٢

الخطابة

:

وأعني بالخطابة هنا : خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء ، وهي من شعائر الدين ، وقد حدد الشرع أركانها وشروطها ، ولست بصدد التفصيل في ذلك .

لكن يهمني في مثل هذا البحث الإشارة إلى أن خطب الجمعة أهم واجبات العلماء والمشايخ ، وكبار طلاب العلم ، وهم - بحمد الله - متوافرون في بلادنا ، وأكثرهم قائم بواجبه فعلا . . . لكن ليس ذلك بالقدر الكافي حيث نرى - وفي القرى والأرياف بخاصة - أنه قد يتولى الخطابة من لا تتوفر فيه الأهلية مع وجود العالم أو طالب العلم الأجدر . خاصة القضاة وخرابو العلوم الشرعية ، وهذه من الظواهر التي يجب أن يُعنى بها العلماء مع الجهات المسؤولة .

٣- الفتوى :

الفتوى

من أعظم مهام العلماء؛ لأنهم أهل الذكر ، والله تعالى يقول : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } . وأجدد مكان تصدر منه الفتوى : المسجد؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في المسجد أكثر من سؤالهم له فيما سواه .

كما أن الفتوى في المسجد تعم بما الفائدة لحضور طائفة من المصلين غالباً . ولذا درج المسلمون قديماً وحديثاً على اعتبار المسجد أفضل بقعة تنطلق منها الفتوى . وهي اليوم أعم فائدة ، حيث توفرت وسائل الإعلام والإبلاغ التي تتجاوز المسجد عبر مكبرات الصوت والأشرطة ونحوها . والفتوى يجب أن يتصدى لها العلماء وطلاب العلم المتمكنون ، ولا يترك الناس للأحداث والمتعلمين ، وقليلتي الفقه في الدين ، وربما أهل الأهواء أحياناً . لذا يجب أن يُعنى أئمة المساجد بهذه المسألة عناية تامة ، كأن يقوموا بالتنسيق مع المشايخ وأهل الفتوى بجلب المفتين وعقد جلسات الفتوى في المساجد بشكل منتظم؛ لأنه كثيراً ما يتعرض للفتوى عبر منابر المساجد والكلمات فيها أو الوعظ - من ليس بأهل الفتوى فيفتن الناس ، أو يوقعهم في الحرج .

- ٤ -

الدروس

:

- وأعني بما تلکم الحلقات العلمية التي تقام في المساجد ، يتعلم فيها الناس أصول الدين وفروعه ومتطلباته ، في العقيدة والأحكام والتفسير والحديث واللغة وسائر العلوم الشرعية وما يلحق بها . والدروس في نظري هي أهم المجالات وأعظمها فائدة ، كما أنها الوسيلة الأنفع والأجدى والأبقى ، وقد أثبتت التجارب عبر تاريخ الإسلام الطويل أن الدروس العلمية الشرعية ، هي الطريقة التربوية الأسلم في نشر الدين وتعليم الناس ، وتفقيهم في الدين ، وكانت أعظم وسائل العلم والتعليم والتربية عند السلف الصالح ، ولا تزال أفضل الوسائل لذلك .
- وعلماء الأمة هم معلموها ، ويجب أن يتصدروا الدروس الشرعية في كل مكان ، والدروس في المساجد بخاصة . ولدروس العلماء في المساجد خصائص تميزها ، منها :
- ١- أنه يتحقق فيها معنى مجالس الذكر أكثر من غيرها ، حين تكون في بيت من بيوت الله (وهو المسجد) ، وتحضرها الملائكة ، ويباهي الله بأهلها ملائكته .
 - ٢- أن المتلقي في المسجد يشعر بشيء من الطمأنينة والسكينة والهدوء والسمت أكثر من أي مكان آخر .
 - ٣- أن الناس في المساجد يكونون أكثر التزاماً للأدب والإنصات واحترام المكان والحضور .
 - ٤- جلوس المتلقي في المسجد يجعله أكثر استعداداً لقبول العلم حين يشعر أنه في مكان الصلاة ، والأصل أن يكون على طهارة ويحافظ على ذلك .
- وفي الجملة فإن الدروس هي التي تربي طلاب العلم؛ لأن الدروس تتسم غالباً بالاستمرارية ، والأصل في طلاب الدروس للملازمة للشيخ المدرّس ، وتلقي العلم عنه مقروناً بالعمل والأدب والسمت ، إذ العالم قدوة في علمه وعمله .
- أصناف الدروس :
- والدروس التي يحتاجها الناس اليوم أصناف :

منها الدروس العلمية المركزة :

وهي تلکم الدروس التي ينبغي أن يتصدرها المشايخ الكبار وطلاب العلم المتمكنون ، ومن أهم مواصفاتها :

- أن تكون في أحد العلوم الشرعية أو ما يخدمها .

- وأن تكون على يد شيخ أو طالب علم متمكن فيما يدرسه .

- أن تكون على سمع العلماء وأدبهم .

- أن يكون الطلاب ممن تتوفر فيهم صفات المتلقي من حيث الاستقامة والأهلية والأدب .

- أن يأخذ الدرس صفة الثبات والاستمرارية .

- أن يتلقى الدارس العلم بالتدرج حسب توجيه شيخه .

وهذه الدروس هي الأنفع والأبقى ، والتي يمكن للشيخ أن يربي تلاميذه فيها على عينه ويتأثرون بسمته ويجيزهم باطمئنان .

ومنها الدروس الخفيفة :

وهذه الدروس الموجزة المؤقتة التي يلقيها الشيخ في زمن محدود ، كأسبوع ، أو شهر ، أو في حلقة ذات زمن محدد قصير ، كالحلقات والدروس التي تلقى في الدورات أو المواسم الثقافية ، أو المراكز الصيفية ونحوها .

وهذه الدروس طيبة ومفيدة ، لكنها لا تخرج طلاب العلم ، كما أنه لا يتأتى فيها للشيخ أن يتعرف على تلاميذه ، ولا يتابعهم ويتأكد من مستوايهم فضلاً عن أن يجيزهم ، فهي أشبه بدورات التوعية والتثقيف .

*الدروس الرافدة :

وهي تلکم الدروس التي يقوم بها طلاب العلم الصغار في تعليم العلوم الشرعية الأولية ، والتي لا تحتاج إلى التعمق في العلم ، أو التبحر في العقائد والأحكام ، ويجب أن تكون هذه الدروس في المساجد ، وتحت إشراف العلماء وطلاب العلم الكبار ورعايتهم ومتابعتهم ، لئلا تنحرف بهم السبل يمينا أو شمالا ، فالصغار والأحداث من طلاب العلم إذا تركوا يعلمون الآخريين دون إشراف ولا لوجيه ربما يصيبهم التعالم والغرور ، وربما يشطح أحدهم وتستهوئه الأهواء دون أن يشعر .

*حلق تحفيظ القرآن :

وهذه مهمتها الأساسية تحفيظ القرآن وإقراؤه للصغار والكبار ، وقد تتولى تعليم الدارسين شيئا من مهمات الدين في العقيدة والأحكام بالإضافة إلى مهمتها التربوية والأخلاقية من خلال ذلك ، ومكانها الطبيعي المسجد ، ولا يلزم أن يتولى العالم بنفسه هذه المهمة وحده ، بل لا بد أن يقوم بها كل من يجيدها ولو لم يكن عالما . لكن يجب أن يرعاها ويشرف عليها العلماء وكبار طلاب العلم من أئمة المساجد وغيرهم ، وأن يتأكدوا من سلامة نهجها علميا وعقديا لئلا تكون بؤرة للبدع والأهواء .

٥- المحاضرات والندوات :

المحاضرات والندوات

تكون -في نظري- في المقام الثاني بعد الدروس ، وهي نمط من الخطابة وترادفها ، وأفضل مكان للمحاضرات والندوات هو المسجد ، كما أن العالم هو أولى من يقوم بالمحاضرات في المساجد .
وفي عصرنا صار للمحاضرات شأن كبير ، وكثر الاعتماد عليها في إيصال المعلومة للسامعين ، وهيئات الجامعات والهيئات والمؤسسات والمكتبات قاعات مخصصة للمحاضرات ، تضاهي المساجد وربما تسببت في تعطيل كثير من المساجد في أكثر البلاد الإسلامية .
وبالرغم من أنه في الآونة الأخيرة بدأ يعود للمسجد شيء من الاعتبار ، فإنه لا يزال الأمر يحتاج إلى مزيد من الاهتمام من العلماء بصرف أنظار الناس إلى المساجد وإعادة الاعتبار لها ، وذلك بجعلها مركزاً لنشر العلم والتوجيه والوعظ والإرشاد ومنطلقاً للأنشطة العلمية والاجتماعية والدعوية .

- ٦ -

الكلمات والتوجيهات والمواعظ

:
وأعني بها ما يلقيه العالم وطالب العلم على جماعة المسجد من توجيهات ومواعظ موجزة دون المحاضرة والخطبة ، يتناول فيها ما يحتاجه المصلون وجماعة الحي في أمورهم الشرعية والاجتماعية وغيرها . وأهمها : تعليم أصول الدين ، والأحكام ، والآداب ، والوعظ ، والتنبيه على الأخطاء وبعض جوانب التقصير ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية ، والتربوية ونحو ذلك .
وكما أن منطلق هذه التوجيهات هو المسجد ، فكذلك يحسن أن تكون بعد الصلوات ، أو قبيل الإقامة ، حيث يجتمع أكبر عدد ممكن من المصنفين (جماعة المسجد) ويتولى ذلك أفقه القوم ، سواء كان هو الإمام أو أحد المأمومين من العلماء وطلاب العلم .
وكان سلفنا الصالح يحرصون على هذه الطريقة ، وكان الناس في هذا البلد (المملكة العربية السعودية) يفعلون ذلك إلى وقت قريب .

فكان الإمام أو أحد المشايخ وطلاب العلم الحاضرين يتعهد المصلين بأفرادهم ومجموعهم يقرئهم القدر الضروري من القرآن والحديث ، وأركان الإسلام والإيمان ، والأصول الثلاثة والمسائل الأربع ، وسائر ضروريات الدين من أحكام الصلاة وشروطها وواجباتها والطهارة ، والصيام ، والزكاة ، والحج والسن والآداب والسلوك .
وكان ذلك يتم بشكل دوري (يومي ، أو أسبوعي ، أو شهري) بحسب الحاجة .
ويتنم ذلك بطريقتين :

الأولى : أن يلقيهم الإمام ذلك بنفسه .

والثانية : أن يكلف أحد المصلين بذلك .

وأرى أن هذا من أهم أدوار المساجد التي يجب أن يحميها العلماء وطلاب العلم ، على قدر حال جماعة المسجد ومستواهم ، لكن يحسن أن تتم الثانية بطريقة لا تنفر ولا تخرج بعض المصلين ، الذين يشعرون بشيء من الخجل أو الحرج ، بل تتم بترتيب وتنسيق مناسب تعم به الفائدة ولا يؤدي إلى انقطاع البعض أو قهرهم .

فلا يكلف الإمام أو الشيخ في ذلك إلا من يتوسم فيهم المقدرة والاستعداد ، والباقون يستفيدون مما يسمعون .
هذا إذا تم عمل هذه الأمور من خلال التكليف والتلقين .

وأما إذا قام بالمهمة الشيخ أو الإمام فالأمر سهل شريطة عدم الإطالة ، حيثما لا تزيد الكلمة عن عشر دقائق وإلا فتصبح مع التكرار مملولة .
وعلى أي الأحوال فإن عموم الفائدة ونجاح العمل مرتبط بالأسلوب والطريقة التي ينهجها من يقوم بهذه المهمة .
فالحرص على وسائل الجذب ، وتطوير الأساليب وتنويعها من عوامل نجاح العمل .
الخطاب الوعظي :

مما يفتقر إليه مجتمعنا اليوم ويحتاجه سائر الناس -حتى طلاب العلم- الخطاب الوعظي ، فإن قلوب الناس وأنت عليها القسوة ، ورغم كثرة مصادر التلقي والعلم والثقافة إلا أن الجانب الوعظي لا يزال ضعيفاً . وهذا مما ينبغي أن يُعنى به المشايخ وسائر الأئمة والخطباء ، والدعاة والمرشدون ، وفق الله الجميع لما فيه الخير .

-٧-

أعمال الحسبة الأخرى

:

مما يحسن أن ينطلق من المسجد ويأشرف العلماء وتوجيههم : أعمال الحسبة والأعمال الخيرية ، وأعمال البر مثل :
بث روح التعاون والتكافل والتراحم في جماعة المسجد وتوجيه المقصّر في الصلاة وحضور الجماعة ، وتفقد أحوال الجماعة وأهل الحي في سائر الأمور الشرعية ، والأخلاقية ، والمادية ، والحرص على ما يجمع الشمل ،
وينشر القضية ويحارب الرذيلة ، وتدريب طلاب العلم على الكلمات والوعظ والخطابة ، والفتوى وأعمال الحسبة
يأشرف مباشر من المشايخ .
ولأن هذه الأمور من مقاصد الشرع وتتعلق بمصالح الناس ، وتمس حرياتهم ، لذا يجب أن يتولاها أهل العلم والحلم
والفقه في الدين ، ومن له اعتباره واحترامه بين المجتمع من العلماء والصالحين المشهود لهم .

اقتراحات عامة :

إضافة إلى الاقتراحات التي تضمنها البحث وأشرت إليها في ثنايا البحث هناك

اقتراحات عامة

، منها :

- ١- وضع خطة لاستقطاب جميع العلماء وطلاب العلم والقضاة ونحوهم من المؤهلين حسب نظر المشايخ ،
للتدريس وسائر الأنشطة المناسبة في المساجد في المدن والقرى والأرياف والبادية ، ويقوم بتنفيذها لجان محلية تتكون
من المشايخ وطلاب العلم والأئمة والخطباء .
- ٢- وضع برنامج لزيارة المشايخ الكبار وطلاب العلم للمناطق المحتاجة بشكل دوري منظم وبالتناوب . تتفاوت

مددها من عدة أشهر إلى أسبوع أو يوم في الشهر أو يوم في الأسبوع . والاستمرار في ذلك بمتابعة قوية وجادة .
٣- وضع دورات مستمرة للأئمة والخطباء لهذا الغرض ، أعني الإشراف على الأنشطة وأداء الدروس والكلمات
التوجيهية والمحاضرات والندوات وسائر الأنشطة .
هذا وأسأل الله أن يحفظ هذه البلاد دينها وأمنها ، وأن يوفق ولاية الأمور فيها لكل ما فيه صالح مجتمعاتهم في دينهم
ودنياهم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .